من العلماء والخطباء ضدان متكلم وصامت وناطق وساكت. وللتوضيح اقول ان اصحاب التآليف المذخودة في هذه الخزائن يعلموننا وهم صامتون فنحن في وسطها مخاطبون ومتخاطبون ومتكلمون ومكالمون ومن تراهُ يخاطب معلمهُ ومعلمهُ يكالمهُ ولا يستفيد. وايُّ مجلس خيرٌ من مجالس العلماء الادباء. وايُّ وقتٍ اثمن من هذه المواقيت التي احرى ان تدعى بمواقيت. وايُّ شيء احبّ لديك من ان تفيد وتستفيد. فلست ارى والحالة هذه الّا ما ترون من ان هذه الغرفة التي هي مجموعة جمعياتكم صارت كمدرسة عالية لنا الّا انها لا تُطالب عن اجرة التعليم الا بالرضى والدعاء الحميم فسعدًا لكم يا ذريها وشكرًا لكم يا منشئيها. اه

عواقب الطمع

بقلم الاديب نجيب افندي المشلاني

كان جَبْر مطبوعًا على البخل حريصًا على جمع المال فاغرًا فاه نحو الدراهم اتّخذ مشورتهُ المرأة فلم يعبد سواهُ وكان مع ذلك فظّ الطباع سيّئ الاخلاق اذاق زوجهُ ضروب الآلام فعجّل ساعة موتها فماتت وهي في ربيع عمرها تاركةً لهُ ابنةً صغيرة تدعى «لطيفة» كانت سلّمتها قبل وفاتها الى راهبات الحبّة ليقمنَ لديها مقام امّها. فاعتنينَ بتربيتها ايّ اعتناء اذ توسّمنَ فيها دلائل الذكاء والميل الى الفضيلة. فشبّت لطيفة على التقوى ورسخ الدين في قلبها وكانت مع ذلك صناع اليدين ماهرة في كل الاشغال محبوبةً من جميع معلّماتها واترابها

فلمّا انهت دروسها وعادت الى بيت ابيها تولّت كل اعمال الخدمة وقامت بامور البيت قيامًا ضُرب بهِ المثل بين كل اهل القرية. وكان الجميع يشيرون اليها بالبنان ويدعونها بالملاك لتقواها وحشمتها ومثابرتها على الاسرار. اما ابوها فكانت لطيفة تبذل وسعها لتستميل قلبهُ وتزرع فيهِ بذر النزاهة والاستقامة

وكان جبر في اوّل امرهِ قد تأثّر من سجايا ابنتهِ فقدّرها حق قدرها الّا انّ سوء طبعهِ ما لبث ان تغلّب عليهِ فنوى ان يجعل كريمتهُ كآلةٍ لسدّ مطامعهِ. ففي احد الايّام دعاها اليهِ وقال لها: انكِ يا لطيفة ذكيّة الفؤاد متوقدة الذهن فيكِ من الخصال الحميدة ما يندرُ وجودهُ في غيركِ وانّما ذلك لا ينفعنا فتيلًا وها انا منتظرٌ منكِ اكثر ممّا سبق

— وماذا استطيع على فعلهِ ولم افعلهُ لسعادة والدي وراحتهِ. فسُرّ يا ابتاهُ وانا اليك أطوع من بنانك

— الرأي عندي يا ابنتي ان تسافري الى اميركة فتستعملين هناك ذكاءكِ ونباهتكِ لكسب المال

فما كادت الفتاة تسمع كلام والدها حتى امتُقع لونها وتلعثم لسانها ولم تفه ببنت شفة

— لمَ لا تجيبيني أليس كلامي صوابًا ؟

— ما كنتُ اتوقّع مثل هذا الكلام منكَ والدي

— ولمَ ذلك أفلا نرى بناتٍ كثيرات يذهبنَ الى اميركة فيُحرزنَ الغنى لاهلهنَّ ؟

— لكنَّ الله لم يخلق النساء للاسفار والتجوُّل بل خلقهنَّ ليسعفنَ الرجال في اعمال البيت. ثمَّ اعتبر ابتِ ما يتهدَّدني من المخاطر الادبيَّة اذا ما سافرتُ وحدي. ام كيف ترضى بان تبتعد عنك ابنتك وهي في شرخ الشباب لا عضد لها ولا مسعف ؟

— هذه كلها حجج باطلة واهية تلتجئين اليها لتستري كسلكِ

— وهل رأيتني قطّ متقاعدةً متقاعسة عن تتميم واجباتي ؟...

— مهما فعلتِ لا اكترث لهُ ان كنتِ لا تسعين وراء المال

— وما لنا وحشد الاموال ولدينا من فضلهِ تعالى ارزاقٌ يكفينا ريعُها للقيام بمعيشتنا بسعةٍ وهناء. ثم انَّ الافراط في طلب المال خطيئة لمسيحيين مثلنا

فلمّا سمع جبر كلام ابنتهِ احتدم عليها غيظًا وشرع يشتمها. ومذ ذاك الحين جعل يعاملها اسوأ معاملة ويعارضها في كل اشغالها وينسب الى الرناء تقواها ويتّهمها باشنع تهمات حتى تكدّر عيشها ونغّص عليها أيّامها. وكانت لطيفة مع ذلك صابرةً على هذه المحن تتحمّل مُضضها بالتؤدة وثبات الجنان اقتداء بفاديها الالهيّ وعملًا بارشادات معلمتها الفاضلات. الّا انَّ اباها لم يزل يضايقها ويعاكسها حتى اضطرّت اخيرًا الى السفر بعد ان طلبت مشورة ابيها الروحي الذي حرّضها على الثقة بالله والاتكال على مراحم البتول والتجاء الى الصلاة في ساعة التجربة والبلاء.

. . . . . .

في اصيل احد ايام حزيران من سنة ١٨٨٩ القت السفينة البخاريّة « برازيل » مراسيها في مرفإ ريوجانيرو فخرج الركاب الى البرّ وكان في جملتهم بعض السوريين

المهاجرين لاقاهم الى المركب اصدقاؤهم فساروا بالوافدين الى بيوتهم. امّا لطيفة وكانت من جملة المُبحرين فلم تجد احداً ينتظرها فتوكّلت على الله وحملت صندوقتها وذهبت الى اسواق المدينة على غير هُدىً حتى رأت باب كنيسة فمنّ لها ان تدخل وتشكر الله على وصولها بالسلامة وتطلب نعمتهُ ليصونها في غربتها من كل الاخطار

وبعد ان صلّت طويلاً بجرارة همّت بالخروج لكنّها قالت في نفسها: «اين امضي وايُّ بابٍ اطرق وانا غريبة الدار واللسان وعمّا قليل سيرخي الليل سدولهُ فاولى بي ان ابقى هنا وارقد تحت رواق الكنيسة على الحضيض تحت كنف أمي السماويّة فهي تظلّني بجناحيها فآمن بشفاعتها من طوارق الحدثان. ثم سدّت رمقها بكسرةٍ من الخبز وجعلت صندوقتها وسادةً ورقدت عند باب الكنيسة تحت تمثال للبتول يزين وجه الباب...

وعند الصباح حضرت الذبيحة الطاهرة وصلّت صلواتها المألوفة ثمّ خرجت وهي تبتهل الى الله ليسهّل لها طريقها ويرعاها بعينهِ الساهرة. لكنها اذ لم تكُ تعرف الشوارع ولا تفهم اللغة لتستهدي الى سبيلها وقفت متحيّرة امام باب الكنيسة محتارةً فلمح منها ذلك رجل فاضل سوريّ فتحنّن عليها وتقدّم اليها قائلاً: «انتظريني هنا ريثما اسمع القداس فاقودكِ الى منزل تسكنينهُ وادبّر لكِ شغلاً ترتزقين منهُ...». ثم فعل كما قال ودبّر للمسكينة منزلاً واشترى لها «كشّة» وهو العمل الوحيد للسوريين في تلك الجهات وسلّمها بضاعةً وبعد ما علّمها طريقة البيع تركها وشأنها

كانت لطيفة وهي في المدرسة تسمع معلماتها يصفنَ لها ضوضاء العالم وشروره الجمّة فما مرَّ عليها زمن قليل حتى شاهدت الامر بالعيان فلزمها ان تخوض في هذا البحر العجّاج وتختبر ما يكنُّهُ في غورهِ من الخاطر والاهوال. لكنّها تذكرت وصيّة مرشدها الاخيرة فلاذت باهداب البتول الطاهرة وتدرّعت درع الصلاة واخذت تلازم مهنتها الشاقّة لتسدّ رمقها وتربح بعرق جبينها شيئاً من الدراهم ترسلهُ الى والدها. وكانت مع ذلك تتحايد كلَّ ما من شأنهِ أن يرميها في حبائل العدوّ ويجلب لنفسها الدمار

الّا انَّ ابليس خزاهُ الله سوّل لبعض الشبّان ممّن نضب ماء الحياء من جبينهم ان يوقعوها في اشراكهم. وكان منهم شابٌّ يدعى ناصيف وقعت لطيفة في عينهِ موقع الاستحسان فاخذ يترصّدها وينصب لها المكايد الى ان التقى بها فقاتحها بهواهُ على انَّ الفتاة العفيفة نفرت منهُ وولّت الادبار وانتصرت عليهِ بمعونة الله ولم ينجح فيها لا الوعد

ولا الوعيد. فلمَّا رأى خيبة مسعاهُ اصلاها مذ ذاك حرًا عوانًا واذاقها مرَّ العلقم

وليست هذه الحرب الوحيدة التي نشبت على لطيفة بل تناوبتها سهام التجارب حتى عيل صبرها وكتبت الى والدها تخبره بما اصابها في غربتها من العذاب والمرائر وتتأسف على تلك الأيام التي قضتها في المدرسة وفي دار ابيها حيث يخيم السلام وراحة الضمير. فلمَّا وصل كتابها الى ابيها ولم ير فيهِ ما كان يؤملهُ من المال كتب اليها يوبخها توبيخًا شديدًا على تقصيرها حتى زاد في طين شقائها بلَّةً وفي طنبور بلاياها نغمةً

وكان في الدار التي تسكنها لطيفة صبيةٌ تباريها عمرًا وتخالفها اطوارًا فدخلت عليها على اثر وصول كتاب والدها فوجدتها غائصةً في بحر الغمّ والكدر فلمَّا اطَّلعت على سبب حزنها جعلت تزفُّ اليها من النصائح او بالحري من وساوس الشيطان ما اضاق ذرعها وكشف بالها لاسيَّما اذ سمعت تلك الفتاة تدعوها الى خلع ثوب الاحتشام ونبذ الحياء والخجل والتردُّد الى محلَّات الملاهي زاعمةً انَّها تحصل بذلك على مال اوفر من مال قارون . . .

امَّا لطيفة فما طرق هذا الكلام مسامعها حتى تميَّزت غيظًا وطردت من غرفتها تلك التي تجاسرت فعرضت عليها مثل هذه المشورة وقالت لها: « اعلمي اني اوثر الموت جوعًا من ان اعمل بنصيحتكِ التي تؤدي بي الى اهانة الله. فالادب والاحتشام هما افضل لدي من اموال الارض بكمالها والتقوى عندي كنزٌ لا توازيه كنوز الدنيا برمَّتها ». قالت هذا واقفلت بابها ولم تعد تنظر الى زميلتها البتَّة

. . . . . .

في اصيل يوم من ايام تموز من سنة ١٨٩٢ بعدما تعبت لطيفة النهار كلَّهُ ولم تبعْ شيئًا بل اشتدَّت عليها مضايقة تاصيف ومن هم على شاكلتهِ دخلت حجرتها وغلقت بابها وجثت امام ايقونة البتول وهي تذرف الدموع وتصلي بحرارةٍ كي تقيها شرَّ هؤلاء الأبالسة. وفيما هي على هذه الحال اذ فُتح باب غرفتها بغتةً ودخل منهُ والدها. فعندما رأتهُ تحوَّل دمع حزنها الى دمع فرح وهرولت مسرعةً لتعانقهُ فابتدرها بضربةٍ القتها على الارض وقال لها: « اتيتِ الى هنا حتى تتنسَّكي كان الاحرى بكِ ان تذهبي وتسكني المنار. وبدلًا من ان تكدّي وتجتهدي لكسب المال اراكِ تقضين الوقت جزافًا في الصلاة فلا حيَّاكِ الله ولا بيَّاكِ » . . . . . .

مرَّ على جبر بضعة ايام في المدينة تعرَّف باثنائها على ناصيف فتصادقا وتحالفا « انَّ الطيور على اشكالها تقعُ ». ثمَّ طلب ناصيف من صديقهِ ان يسمح لهُ بالاقتران بلطيفة لقاء مبلغٍ من المال انقدهُ اياهُ في الحال فما رأى جبر المال في يدهِ حتى وعدهُ حالًا قبل ان يستشير ابنته بذلك وقبل ان يفحص عن حالة هذا الشاب وآدابهِ كأنَّ الابنة متاع يهبها او يبيعها لمن يشاء. ولم يمضِ ايام طوال حتى اصبحت لطيفة زوجةً لناصيف مع ما كانت تعرفهُ من قلة آدابهِ ومن قبح سيرتهِ وسوء سلوكهِ. ففرح الوالد بهذا الاقتران لانهُ تخلَّص من ابنتهِ التي كانت على عاتقهِ حملًا باهظًا. ثمَّ تركها وتوغَّل في داخليَّة البلاد حيث اكترى لهُ بيتًا منفردًا وجعل همَّهُ حشد الاموال فجمع مبلغًا وافرًا اردعهُ احد المصارف

امَّا ناصيف فعندما اصبحت لطيفة في حوزتهِ اجبرها على حمل « الكشَّة » والتجوُّل وهو ألف الحان ومعاقرة الخمرة مع اصدقائهِ الذين هم على شاكلتهِ

. . . . . .

مضت سنتان على هذا الاقتران المشؤوم ذاقت لطيفة باثنائهما العذاب الوانًا ومن سوء المعاملة اشكالًا وهي وديعة كالحمل صابرة طائعة تتذكر نصائح معلماتها فتتبعها حرفًا بحرف وبالنتيجة انها كانت مثال المرأة المسيحية في كل تصرفاتها وسلوكها مع رجلها الذي كان يعاملها معاملة السيد لعبدهِ. حتى اخيرًا مرضت مرضًا ثقيلًا فقصد ناصيف ان يودعها في احدى مستشفيات البروتستنت لكي يتخلص من الاعتناء بها الَّا انَّها لم ترضَ بذلك وتوسَّلت اليهِ بكل ما لديها من القوة حتى يقودها الى مستشفى راهبات المحبَّة اللواتي درست عندهنَّ حتى تتمكَّن من الحصول على الاسرار المقدَّسة قبل مفارقتها دار البوار لأنَّها شعرت بدنو اجلها وان ايَّام غربتها اوشكت ان تنتهي امَّا هو فما زال اصمَّ اخرس كأنَّ قلبهُ قد قُدَّ من صخر فعمد على جرِّها عنوة ان ابت وفيما هي تتوسل اليهِ والدموع تسيل على خديها واذا بشيخٍ جليل دخل عليها فتفرست فيهِ لطيفة وعرفتهُ انهُ ذاك الذي استقبلها يوم وصولها وكان دأبهِ عمل الخير مع البائسين فعرف ما حلَّ بها وجاء ليغيثها بما لديهِ من الوسائط. ولمَّا وقف على حقيقة الامر انتهر زوجها واوصاها الى منزل راهبات المحبة واودعها هناك وذهب بعد ما اوصى بها الرئيسة

فلمَّا حلت لطيفة هذا المنزل الملائكي سكن روعها وتبدَّد عنها كلّ قلق واضطراب واستنشقت نسيم الراحة والسلام. امَّا الراهبات فبعد ما وقفن على قصتها انذهلن من صبرها وبالغن في الاعتناء بها الَّا ان الله شاءت حكمتهُ أَلَّا يدع هذه النفس الملائكيَّة في هذه الدنيا الشقية وفي ١٥ آب من سنة ١٨٩٤ اسلمت روحها بهدوء وسكينة بين يدي خالقها بعد ما تزودت بزاد الراحلين واقتبلت المسحة المقدَّسة فدفنتها الراهبات بكل وقار واحترام

امَّا ناصيف فانهُ بعد ما صرف آخر فلس في اللهو واللعب قصد حماهُ لعلَّهُ يتمكن من المعيشة معهُ وعقب وصولهِ تلقى جبر مكتوبًا يُخبِرهُ بان المصرف الذي اودعهُ مالهُ قد اشهر افلاسهُ. فحلَّ هذا النبأ على جبر حلول الصاعقة وضاقت الدنيا لديهِ واظلمت الشمس بعينيهِ واخذ يشتم ويسبّ ويلعن ويرغي ويزبد حتى مُسَّ بجنون... وفي الليل بينما كان ناصيف راقدًا قام جبر واخذ قليلًا من البترول واوقد النار في البيت فالتهمتهُ عن اخرهِ وكان حظهما في اخرتهما كحظهما في الابدية

مطبوعات شرقية جديدة

KUSEIR 'AMRA, ETC.
Topographische Reisebericht von Dr A. Musil
I. Theil, mit 2 Plaenen u. 20 Abbild., Wien, 1902

قصير عمرة

سبق المشرق (١: ٦٦٥ و٤: ٧٦٥) فذكر مرارًا ما اكتشفهُ الدكتور موسيل ترير كليتنا قبل ثلاثة اعوام من الآثار النفيسة في بلاد موآب جنوبيّ البحر الميت وشرقيَّهُ. وها هو اليوم قد نشر في مجموع اعمال المحفل العلميّ في فيَنَّة الجزء الاوَّل من اخبار رحلتهِ الى تلك البلاد القاصية في غاية آيار من سنة ١٨٩٨ وفي ٩ تمرز ١٩٠٠ وقد تفقد عدَّة قصور قديمة لم يكد العلماء حتى الآن يعرفون اسمها فضلًا عن جسمها كقُصَير عمرة والازرق والحرَّاني والمرقَّر وقصر الحمَّام وقصر الطوبى وقصر باير

واعظم هذه القصور شأنًا قصير عمرة وهو عبارة عن بناية فخيمة تجمع بين مزايا الصروح الملكيَّة والحصون. وفي داخل هذا القصر الجليل قاعات فسيحة على جدرانها